

ثقافة

رحيل

روايةٌ أخيرة تُنذر بالموت

بول أوستر

جعفر الملوني

نعم، هكذا كانت وهكذا قرأت، على غرار شهادة تعي كتبها بطل الرواية لحياة بدت وكأنها تلوح بنهايتها القريبة: ففي آذار/ مارس من العام الماضي، أعلنت الكاتبة سيري هوستفيت، زوجة بول أوستر، عن إصابته بسرطان الرئة. وأول أمس الثلاثاء، عن سبعة وسبعين عاماً، أعلن عن خبر رحيله (1947 - 2024)، في شقته بحي بروكلين بنيويورك، متأثراً بمضاعفات مرضه، كما أكدت الصحافية والكاتبة جاكى لابدين نيابة عن عائلته، وبين هذين الخبرين، بين الغمائي عشرة رواية التي كتبها السيناريسست والكاتب الأميركي بول أوستر، والتي تُرجمت عالمياً إلى لغات عديدة، ستكون روايته الأخيرة «بومغارتنر»، والتي صدرت عام 2023 (وعربياً عن «دار كلمات» بترجمة سعيد البازعي)، مفاجئة من حيث عمقها العاطفي وبساطة سردها، تبدو هذه الرواية الأخيرة لأوستر كما لو أنها تحتوي على كل ما أراد المؤلف أن يدرجه من معجمه الروائي، فبعد اللعب ببطاقات الخيال كلها، واستكشاف حدوده الواقعية، تستخلص «بومغارتنر» خمسة عقود من الحكمة السردية، على الرغم من أن الرواية كلها لا تتجاوز 300 صفحة. مع هذا، من يعرف بول أوستر وأعماله، سيرى أن في الرواية الأخيرة أصداء خفيفة للعديد من قصصه السابقة، فهو يحاكي فيها رقصة الموت الموجودة في «رحلات في حجرة الكتابة» (2006): الرواية التي يؤدّع فيها أوستر شخصياته من أشباح الخلق الأدبي.

غاب أوستر بشكل كامل في العام الأخير عن الحياة العامة، فقد أثر المرض عليه بشكل كبير، وقبل وقت قليل من تشخيص مرضه،

رُصد مع كتاب آخرين على درج مكتبة نيويورك العامة، في حراك دائم لزميله سلمان رشدي، الذي تعرض وقتها لمحاولة اغتيال. بعد ذلك رافق الصمت الطويل أخباره،

عدا بعض المعلومات المتقطعة التي كانت تنشرها زوجته على «انستغرام»، تحدثت فيها عن حالته، محفظةً ببقوته وقدرته على مقاومة المرض، إضافة إلى خضوعه لعلاج طبي مدفر. لم تكن صور صاحب «الثلاثية نيويورك» تبشر بالخير، مما أثار تكهنات حول وضعه، واحاط صورته بالاهتمام والتعاطف، حتى ذلك الوقت لم يكن أوستر قد توقف عن الكتابة يوماً واحداً، وكانت المفاجأة الهائلة، ريثما بالنسبة إليه أيضاً، فبعد انتشائه من «الغنى المشغل» حياة وأعمال مستغر كرين»، طالبه خذاه بإعطاء الحياة لشخصية تد تكون واحد من أكثر شخصياته المحبوبة، وهو السبعيني بومغارتنر، استأذ الفلاسفة الغخري في «جامعة برينستون»، على الرغم من أن بومغارتنر يحتفظ باستقلالية شخصيته، إلا أن قارئ العمل سلاحظ أنه نسخة من مؤلفه، باكثر من معنى ويُعد وجودي، فهو

شخص وصل متأخراً إلى اعراس حجرة الكتابة، التي ليست إلا مخلّلة بول أوستر نفسه. إنْها، إذاً، قصة كاتب بارز وإستاذ جامعي، غريب الأطوار، بقدر ما هو رقيق بشكل لا يُصدّق. شعور الحنّ العميق والدائم يجتاح حياته، وهو شعور سيراقة تجاه آنا، زوجته، رغم أنها ماتت منذ تسع سنوات. إنه الآن في الحادية والسبعين من عمره، ومع ذلك يواصل النضال من أجل العيش في غيابها. تبدأ قصة الحببين المشتركة في عام 1986، عندما التقيا كطالبي فلسفيْن في نيويورك، وعلى الرغم من كونهما متناقضين تقريباً في كل شيء يتعلق بالحياة، إلا أنهما يبدآن علاقة عاطفية تستمر لمدّة أربعين عاماً. الخلل على شعور الحزن بسبب فقدان الزوجة آنا هو الشعور الطاعني على الرواية كلها، وهو المحفز أيضاً للدخول في قصص أخرى - من بينها في نيويورك جيورجسي، إلى حياة والديها كثوري فاشل في أوروبا الشرقية. كل ذلك يتخلّله وصف دقيق بومغارتنر يحتفظ باستقلالية شخصيته، في مراحل الحياة المختلفة، سينتجج في فجر الطفولة.»

■ **بلاط القارئ أن بطاها نسخة من مؤلّفه باكثر من معنى**

■ **تحتوي على كل ما اراد أن يُدرّجه من معجمه الروائي**

■ **السردية القديمة، خصوصاً عندما يُدخل أيضاً في الرواية كتابات السيرة الذاتية لآنا، والتي كتبتها بومغارتنر في صندوق، كما لو أن الأمر متعلق بمخطوطة تاريخية تم العثور عليها للثق. وهناك سيرقراها بومغارتنر بصوت عالٍ على القارئ «هناك في فجر الطفولة.»**

■ **كل هذا يسيرده أوستر بأسلوب دبيع، إذ**

سبيدو ذلك واضحاً من خلال اختراع أسلوب شخصيته، الذي يروي حياته بضمير المتكلم في النصوص التي تظهر في هذه الرواية ذات المنظر المتعدّد، والتي تعكس بقايا ذلك اللعب الأدبية والمرايا التريباتجسية التي تُغري المؤلف والقارئ على السواء.

في أحيان أخرى، يستغني أوستر عن العاب الخيلية التي تُمنز لحظات أخرى من حياته المهنية، حيث تجتمع مجموعة من المؤثرات معاً في الرواية، وقد يكون أكثرها وضوحاً هو تأثير هوستفيت، التي تتردّد أفكارها الفيدومينولوجية في أفكار وإلسان أستاذ الفلسفة، وقد يكون مختبراً للدهشة أيضاً تأثره بالروائي الأميركي وكاتب القصص القصيرة فيليب روث (1935 - 2018)، لا

سيمياً في الصفحات المخصصة لوصف حياة المجتمعات اليهودية في نيوجرسي؛ وهو ما يأخذ القارئ مباشرة إلى روايات روث الخيالية التي تدور أحداثها في نيويورك، ولكن، لا شك أن الدهشة ستبلغ ذروتها، عندما يحد القارئ نفسه، أثناء تلمّس شعور الحنين الذي يتخلّل الصفحات، مدفوعاً بإيقاع بطيء التي تذكّر ومحاولة الإجابة عن



بول أوستر أثناء مشاركته ضيف شرف في معرض غوادالاخارا للكتاب، بالمكسيك، 2017 (Getty)

مع غرّة

أحمد الخميسي

محبّتكم متجذّرة في أرواحنا

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غرّة وكيف أثر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يؤدّ مشاركته مع القراء

الشاهرة، العربي الجديد

■ **ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غرّة؟**
الفلسطيني في غرّة شدتني بقوّة مشاهد الشهداء والأطفال والجرحى، وضور البطولة الغدّة، لكن مع استمرار العدوان في ظل صمت عربيّ وبولني يتقمّع بعبارات الإذانة من دون خحولة فعلية، راح ذلك الصمت المرعب يستولي على، كيف للضمير أن يهرب إلى كهوف السلبية والصمت؟«ما أستعجبش من اللي صلاح جاهين:»«ما أستعجبش من اللي يطبق جسمه العذاب.. وأستعجب من اللي يطبق عذب أخوه.» كيف تتخلّل الضمائر ذلك المشهد؟

■ **أني فُتض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالمعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟**
في واقع الأمر، فإنّ العمل الإبداعي هو عمل سياسي ونضالي، ولا يوجد أدب بعيداً عن قضايا وهموم الناس، أي لا توجد أدب بعيداً عن السياسة، وما زالت أذكّر من طفولتي عبارة مكسّد غوريكي: «جئت إلى هذا العالم لأختلف معه.»

■ **كيف أثر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟**

أشاع العدوان حالة اكتئاب في حياتي اليومية مثل معظم الناس، وأصبح أول ما أقوم به في الصباح البحث عن آخر أخبار غرّة في الإذاعات، وضور البطولة النادرة المثال، والأطفال الذين يرقصون ويُنشدون للوطن بين الألقاض، ويُخبون إلى الحماة كل لحظة تحت القصف وبين جذران البيوت التي هُدمت.

■ **إلى أي درجة تشعرن أن العمل الإبداعي ممكّن وفَعَال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟**
العمل الإبداعي ليس مُمكنًا فقط في مواجهة الحروب العدوانية بل ضروري، إنه لا يتوقّف مثل التنفّس، وهو فعّال

ذلك السؤال الجوهري الذي طرحه إدوارد سعيد في كتابه «عن الأسلوب المتأخر»، بائٍ صورة يؤثّر تراخح الحياة أو التقدّم في السن على عمل الفنان؟ «بومغارتنر» التي كتبها أوستر أثناء معركته ضدّ السرطان تدجّع في طقوس كيميائية مدهشة بين المؤلف والبطل. فهذا الأوّل يصارع مرضاً يصعب الشفاء منه، وذلك الثاني يحاول أن يتجنّب المهينة، حيث تجتمع مجموعة من المؤثرات حياة مستدامة «تُبنيها وراحتها الذكرى»، كما يقول أوستر، في إشارة إلى بيت شعري لمارايمه.

في نهاية الرواية، تصطلح بسيارة بومغارتنر بشجرة، وهو يحاول تحنّين غزال جاء في طريقه في منتصف الليل، يراه القارئ يخرج من السيارة ويسير باتجاه أضواء منزل مجاور. بهذا المعنى، تُقرأ الرواية وكأنها نعي، وكأنّ أوستر يخبرنا أنّ الشخص الوحيد الذي يحقّ له أن يؤنّعه من هذه الحياة هو نفسه. لم يستطع بول أوستر، ولم يعرف كيف يتوقّف عن الكتابة إلى أن جاء إليه بومغارتنر. وهكذا قررا أن يخافرا هذا العالم معاً.

■ **كلمة تقولها للإنسان العربي في كل مكان؟**
الإنسان العربي مظلوم، لأنّه واقع تحت سنايك أنظمة حكم تفرض عليه الصمت، وتخيه بقوّة سيارات الشرطة وهراواتها عن أيّ تضامن. ماذا أقول له؟ حاول أن تعبر عنّا يمور في داخلك الأبعد والأعمق أثرًا.

■ **أني فُتض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالمعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟**
في واقع الأمر، فإنّ العمل الإبداعي هو عمل سياسي ونضالي، ولا يوجد أدب بعيداً عن قضايا وهموم الناس، أي لا توجد أدب بعيداً عن السياسة، وما زالت أذكّر من طفولتي عبارة مكسّد غوريكي: «جئت إلى هذا العالم لأختلف معه.»

■ **كيف طبيعةته هو كما قال كافكا: «أن تهجر معسكر العقلة»، أي أن تقف هناك حيث قضايا الناس، وربما لو فُتض لي أن أبدأ من جديد لأخترت المزيد من التركيز على الأدب بصفته نافذة خاصة على العمل الاجتماعي.**

■ **ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟**
أتمنى شيئاً واحداً، أن تكفّ البشرية عن حماقاتها وأطماعها، وأن تُدرك أننا جميعاً أبناء الكرة الأرضية، المهذدة بالتغيرات المناخية الحادّة، وأن تستأصل من الفكر والشعور ميذا الرُبحية، ورفاهية الأثا، أن تشعر البشرية في نهاية الأمر أننا جميعاً في قارب واحد مهما تعدّدت لغاتنا وثقافاتنا وأعرافنا.

■ **شخصية إبداعية مقاومة من الماضي توتّ لغاها، وماذا ستقول لها؟**

كنت أوّد لقاء عبد الله النديم، المصري أمين البند، الذي لم يُلق سلاحه حينما هُزمت ثورة أحمد عرابي في مصر، وظلّ يُقاوم حتى النهاية، ولقد أتاحت لي المصادفة البحثة ذات يوم أن التقى بغافرا في «مُنتفلة التضامن الآسوي الأفريقي»، لكنّه لم يكن قد أُسمي بعد تلك الأسطورة، لأنّ أُنمّد أنني حينذاك لم أتحذث إليه طويلاً

■ **كلمة تقولها للناس في غرّة؟**
أقول للناس في غرّة إنّنا نُقتل الأرض التي تضمّون عليها، والهواء المشع بريائحته السارود، وإنّنا نتعجّم عن صمودكم وتعمّم العالم جمع كيف يُمكن لشعب أعزل ووحيد أن ينشُر كلّ شعاع الوحدة تلك في نفوس العالم، لقد شفقنا فلسطين منذ الطفولة وسوف نواصل تلك المحبّة المتجذّرة في أرواحنا.

فعاليات

ضمت معرض **غرّة، لحظة تحوّل**، الذي تستضيفه حالياً، نُقيم «موتسّسة عبد المحسن القطان» في رام الله، عند الخامسة من مساء السبت، الحادي عشر من الشهر المقبل، ثاني جلسات «حوار سوال الفتّ». يشارك في الجلسة كلّة من الفنانين: **بشار الحروب، وهاني زعرب، ولور امين، ومنذر جوايرة،** و**يحاورهم يزيد عناني.**

غرباء في وطنهم عنوان المعرض الذي افتتح في قصر «الازو مورا» بمدينة البندقية نهاية الشهر الماضي، ويتواصل حتى الرابع والعشرين من تشرين الثاني/ في غرّة، منهم: **سامية حليب وميسرة بارود ونسرين زواهدة وعهد ازحيمان ومحمد الحاج ورشا الجندي** من فلسطين، و**جيت فرير** من إسكتلندا.

يُفتتح الأثنيث المقبل في «متحف: المتحف العربي للفنّ الحديث» بالوحدة معرض **شاهد** للفنّان السوداني **خالد اليه** الذي يتواصل حتى العاشر من آب/ أغسطس المقبل، يبحث المعرض الذي يضمّ رسومات رقمية وتركيب فنيّ نُقدّ بوسالك سمعية وبصرية، في معنى أن يكون الفرد شاهداً على الدمار الذي يحدث في فلسطين.

تقام عند الساعة من مساء الأثاء المقبل، في فضاء «ذي تيرزناك» بلندن، اامسية موسيقية بعنوان **روية فلسطين** بتنظيم من «مهرجان بيت لحم الثقافي». تأتي الامسية حديثة عن «مسابقة الأغنية الأوروبية 2024، على خلفية مقاضعتها بسبب مشاركة «إسرائيل»، الموسيقيون: **الفرعي، وبشار مراد، ولينا صليب،** وآخرين.

أحمد الخميسي

محبّتكم متجذّرة في أرواحنا

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غرّة وكيف أثر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يؤدّ مشاركته مع القراء

■ **كلمة تقولها للإنسان العربي في كل مكان؟**
الإنسان العربي مظلوم، لأنّه واقع تحت سنايك أنظمة حكم تفرض عليه الصمت، وتخيه بقوّة سيارات الشرطة وهراواتها عن أيّ تضامن. ماذا أقول له؟ حاول أن تعبر عنّا يمور في داخلك الأبعد والأعمق أثرًا.

■ **أني فُتض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالمعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟**
في واقع الأمر، فإنّ العمل الإبداعي هو عمل سياسي ونضالي، ولا يوجد أدب بعيداً عن قضايا وهموم الناس، أي لا توجد أدب بعيداً عن السياسة، وما زالت أذكّر من طفولتي عبارة مكسّد غوريكي: «جئت إلى هذا العالم لأختلف معه.»

■ **كيف لشعب أعزل أن ينشُر كلّة مشاعر الوحدة هذه في العالم؟**

■ **ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟**

أتمنى شيئاً واحداً، أن تكفّ البشرية عن حماقاتها وأطماعها، وأن تُدرك أننا جميعاً أبناء الكرة الأرضية، المهذدة بالتغيرات المناخية الحادّة، وأن تستأصل من الفكر والشعور ميذا الرُبحية، ورفاهية الأثا، أن تشعر البشرية في نهاية الأمر أننا جميعاً في قارب واحد مهما تعدّدت لغاتنا وثقافاتنا وأعرافنا.



احمد الخميسي



حواريات قبل سوال الفن



كارل ماركس: المجيء الثاني ضدّ قوهِ الامر الواقع

من سوهو إلى بيروت

مواجهة ممتدّة من الشارح إلى المسرح، هذا ما تقوله المسرحية التي وتُعرض حالياً على «مسرح لبّ» في بيروت

بيروت . انس السعد

على جذران عديدة في شارع الحمرا ببيروت، وُضعت لمصفاات مكتوب عليها: «كارل ماركس راجع». قد يعتقد المارة بإمكان الذي يشهد بنقّارته منذ عام 2019 جولات من الصدام بين محنّين من صغار المؤرّعين وبين قوى مصرفية وسلطوية، أن هذه المصفاات تندرج ضمن المواجهة المستمرة مع السلطة، مثل مصلفات وكتابات مشابهة في شوارع العاصمة متناهضة لقوى الأمر الواقع وحكم المصرف، وأخرى ضدّ الإبادة الصهيونية في غرّة ومناصرة لقضيّة فلسطين. لكنّ تلك المصفاات، التي شدّته إلى عودة الفيلسوف الألماني (1818 - 1882)، ليست تهديداً سياسياً حيادته الشارح فحسب، بل إعلان عن مواجهته تمتدّ إلى المسرح وتستدعي الفنّ لنقاراً واقعاً واروماً، وهذا ما تستغلّ عليه مسرحية «كارل ماركس: المجيء



ماركس (أمام قضاة)، أثناء ظهوره في بيروت ساعة واحدة فقط (تأريفة الجديت)